محاولات فاشلة لترتيب ملف الإنتخابات وجبهات وزارية تتبادل الإتهام.. وبدء العد العكسي للحكومة

الاردن: الصحافة تنتقد تصدير أزمات الحكومة لها والقصر يتدخل بغياب الوزراء

عمان ـ «القدس العربي»

ـ من بسام البدارين:

البيان الذي أدلى به رئيس الحكومة الأردني معروف البخيت مؤخرا معترفا بوجود «تقصير مؤسساتي» في معالجة أزمة الثلج الأخيرة ومواجهة فصل الشتاء يكشف عن (ضعف واضح) في جبهة الإعداد الإداري داخل مكتب الرئاسة كما يظهر حقائق القصور الفعلي ليس في أجهزة الحكومة فقط ولكن في غياب واضح او حضور خاطىء للطاقم المعاون الذي يعمل تحت إمرة الرئيس بعيدا عن المجلس الوزاري وحتى بعيدا عن الناطق الرسمي.

وهذا البيان خلق مشكلة مع الحكومة والرئاسة أكثر مما عالج مشكلة قوامها الإعلام بسبب تضمنه لعبارات واضحة تتهم الإعلام بالتقصير المهني والإرتباك خلال عاصفة الثلج وهي عبارة أثارت الصحافة التي إضطرت للدفاع عن نفسها رغم ما تنطوي عليه من مغالطات مما يؤشر على غياب رؤية إستشارية (مهنية) في أداء الرئيس الإعلامي حصريا.

ورغم ان الحكومة حاولت الإستدراك لاحقا عبر الإشارة إلى ان عبارات النقد الرئاسية التي طالت الإعلام إنطلقت من باب النقد الذاتي إلا ان الصحافة عموما ما زالت تشعر بالإستياء خصوصا مع تزايد الإعتداءات على الصحافيين خلال تأديتهم لواجبات عملهم، فالصحف اليومية المحلية قالت أمس ان ثلاثة مراسلين في مدينة إربد شمالي المملكة تعرضوا للتوقيف لعدة ساعات وللمنع من الحضور إلى ساحة معركة دارت بين القوات الأمنية ومسلحين من تنظيم القاعدة وتدخلت نقابة الصحافيين بهذا الأمر معترضة على مسلسل إستهداف منع الصحافيين من القيام بعملهم قبل ان توضح إدارة الأمن العام بان إبعاد الصحافيين الثلاثة كان بغرض حمايتهم.

وقبل ذلك كان ثلاثة نواب في حادثة مشهورة قد إعتدوا بالضرب على مصورين صحافيين ومع ورود إتهامات للإعلام على هامش ملف الثلج المتدحرج سياسيا الآن في الواقع تشعر الصحافة الأن بان الحكومة تسعى لنقل ازمتها الداخلية للجسم الصحافي فأسهل شيء الأن في الأردن هو إتهام الصحافة والإعلام، رغم ان الحكومة مسيطرة في الواقع على الغالبية الساحقة من الأداء الإعلامي في البلاد.

وبيان الرئيس البخيت لم يكن موفقا عندما إتهم الإعلام بالتسبب بالإرتباك وضعف المهنية خلال عاصفة الثلج الأخيرة لإن الإعلام الذي فضح وجود التقصير في الواقع هو الإعلام الرسمي الذي يديره ويشرف عليه رئيس الوزراء، ولذلك يشعر المراقبون الإعلاميون بان الحكومة كان ينبغي ان تعترف مباشرة بانها تلوم إعلامها في الواقع فتلفزيون الحكومة هو الذي اثار قضية المحاصرين بسبب الثلج قبل ان تركب الصحف الموجة للمتابعة فقط.

وبالعادة يمكن ان تلام مؤسسات الإعلام الرسمي في الإطار الداخلي وليس عبر بيان عام موجه للنواب وللشعب ورغم كل ذلك ثمة شعور في الوسط السياسي بان حكومة البخيت لا تكتفي بالغياب عن مسرح الأفعال والمسائل الحيوية والأساسية، لكنها تبرر الأخطاء بصورة يقال انها بدأت تثير حنق المرجعيات وبقية المؤسسات الشريكة في عملية القرار.

ويبدو جليا ان أزمة الثلج التي أظهرت ضعف إستعدادات الحكومة لمواجهة مسألة الطقس تكبر من الناحية السياسية، فالأرصاد الجوية التي يتضمن واجبها تحديد الطقس وتحذير الناس هي ارصاد الحكومة والإعلام الذي خاطب مواطنين محاصرين لا تريد وزارة الداخلية الإعتراف بحصارهم هو إعلام الحكومة والناطقين الرسميين والوزراء الذين ظهروا في أقوال إما متناقضة او غير منطقية او تنطوي على (المجاملة والعواطف) فقط هم جماعة الحكومة.

بمعنى اخر كانت أزمة الثلج حكومية بإمتياز فالمسؤولون خرجوا على الشاشة لإتهام بعضهم البعض، وآليات الحكومة التي تحركت لإنقاذ المحاصرين في الجنوب بالثلج توقفت بنصف الطريق بسبب عدم وجود إحتياط وقود، والمفارقة ان الحكومة نفسها تحدثت عن وجود (خطط طوارىء) متفق عليها منذ سنوات دون ان تجيب على السؤال الصحافي التالي: ما دامت الخطط موجودة لماذا لم تطبق؟

بطبيعة الحال كان التقصير الحكومي واضحا لدرجة ان رئيس الوزراء لم يستطيع إنكاره، وكان الإخفاق الرئاسي في الأداء الإعلامي ميزة التعامل مع الأزمة وبطبيعة الحال وكما يحصل دوما إضطر القصر الملكي للتدخل وتغطية التقصير الحكومي عبر مبادرات متعددة مسحت الجراح التي شعر بها المواطن وحفزت على العمل في مهام لا يمكن إعتبارها من مهام مؤسسة القصر الملكي، لكن حتى هذه المبادرات من القصر وجدت داخل الحكومة من يناقشها على أساس انها نتاج (الشغب المنهج) على الحكومة من قبل أطراف أخرى في مؤسسات القرار يقال ان وجود البخيت في الواجهة لا يعجبها.

ومثل هذه الإتهامات اصبحت موسمية وتعبر عن حاجة بعض الوزراء للتغطية على عيوبهم وقصورهم فمسؤولية وجود وقود يكفي لمواجهة الطوارىء عند آليات وزارة الأشغال تقع على عاتق الوزير المعني مباشرة والأمر بكل تأكيد هنا لا ينطوي على مؤامرة سياسية مغرضة من خصوم البخيت وتجربته علما بان كل الحكومات منذ التحول الديمقراطي عام 1989 تتعرض للشغب المنهج بحكم وجود صالونات سياسية وتجربة ديمقراطية ومعارضة ونخب لديها وجهات نظر متعددة وصحافة تتحرش بالمسؤولين وتراقب اعمالهم.

والإختلاف هنا بسيط فحكومة البخيت وحدها التي تحب التركيز على تحرشات الخصوم رغم ان هؤلاء الخصوم لا علاقة لهم بنقص الوقود في آليات وزارة الأشغال ولا بأطنان الآليات التي إتضح انها (عطلانه) وتحتاج للصيانة في بلديات المملكة.

معروف البخيت

وبعد ازمة الثلج دخلت الحكومة فورا بأزمة إسطوانات الغاز التي أرهقت المواطنين ثم ازمة الإنقطاع غير المبرر للتيار الكهربائي مع الإرتفاع المرعب بالأسعار، ومع كل ذلك كادت الحكومة ان تدخل في (خطأ إستراتيجي) أخر وهي على وشك الإعلان عن الجداول الإنتخابية للناخبين، رغم ان قرار عقد الإنتخابات مركزيا لم يتخذ بعد في إطار المؤسسات المرجعية.

بجميع الأحوال يظهر البخيت شفافية خاصة وجرأة وهو يعترف بحصول تقصير وأخطاء، لكن أزمة الثلج تدحرجت مؤخرا في حضنه وكشفت عن ما تحت الثلج من ضعف في الأداء والإستعداد وكما يحصل في كل الديمقراطيات الناشئة هناك دوما من يستغل المسألة، الأمر الذي يفسر الشعور العام الأن بان حكومة البخيت بدأت في (العد العكسي) وبأن اوراق صمودها تتآكل والمسألة بالتالي مسألة

اسلاميو الاردن يتوقعون فشل الاستراتيجية الامريكية الجديدة في العراق والصومال

عمان ـ «القدس العربي»:

توقع حزب جبهة العمل الإسلامي الأردني المعارض مسبقا فشل الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في العراق. وقال النائب الأول للأمين العام للحزب رحيل الغرايبة ان إستراتيجية الرئيس بوش الجديدة في العراق والمنطقة محكوم عليها بالفشل، مشيرا الى ان التعديلات «الطفيفة» التي جاءت بها «لم تغير من جوهر المسار الاستعماري التسلطي» الأمريكي في المنطقة.

وقال الغرايبة ان استراتيجية الادارة الامريكية «معروفة» فهي «تقوم على تقسيم العالم العربي وإضعافه وإثارة النعرات الاثنية والطائفية والمذهبية فيه، وخلق محاور صراع جديدة بين اطرافه المختلفة، كما هو الحال في فلسطين والعراق والسودان والصومال، والاستمرار في الدعم المطلق للعدو الصهيوني».

ورأى ان الادارة الامريكية «ليست جادة» في تغيير إستراتيجيتها تجاه المنطقة، معربا عن اعتقاده بان «صورة امريكا القبيحة ستزداد قبحاً».

وشدد على ان المطلوب هو «انسحاب أمريكي من العراق ورفع الغطاء عن فرق الموت التي تحكم هناك»، مشيرا الى ان «معالم التعديلات التي جاءت بها الاستراتيجية الجديدة معاكسة تماما للمطلوب».

وقال ان «الاستراتيجية التي اعدت لإنقاذ أمريكا من مستنقع الفشل في العراق ستزيد من تعميق المأزق الامريكي كما ستزيد من مأزق المنطقة».

وتابع «فزيادة عدد القوات الأمريكية سيزيد من اهراق الدم هناك، واستمرار الدعم لميليشيات الموت التي تستمد شرعيتها من الحكومة المدعومة أمريكيا سيعمق من الفتنة والشحن الطائفي، والفرقة بين مكونات الشعب العراقي».

ونوه الغرايبة الى ان الادارة الامريكية «لا تضمر الخير» للمنطقة فهي «تمضي في استراتيجية تمزيق كل من العراق والسودان والصومال»، داعيا العرب الى التنبه لحقيقة الاستراتيجية الأمريكية «العدوانية».

وقال ان على قوى الممانعة في العالم العربي «التوجه نحو صناعة موقف عربي موحد وبناء القوة الذاتية ودفع الاصلاح السياسي قدما للتخلص من الاستبداد والتبعية والقهر والعمالة للاجنبي وبذل الجهد في دعم المقاومة الفلسطينية والعراقية والصومالية»

وختم بالتنبيه الى ان «العدو» الأمريكي «لن يتراجع عن مخططاته في المدى المنظور، فبالرغم من الخسائر الأمريكية المتفاقمة في المنطقة فهي ما تزال ماضية في مخططاتها العدوانية».

ومن جانبها أدانت جماعة الإخوان المسلمين الأردنية التدخل الأثيوبي في الصومال، مشيرة إلى أن الأحداث تؤكد على انه احتلال بالوكالة عن الولايات المتحدة الأمريكية.

وقالت في تصريح صحافي صدر عنها أمس الأربعاء ان التدخل الأثيوبي لصالح الحكومة المؤقتة حظي «برضى أمريكي»، أدى إلى «ترجيح كفة» هذا الصراع ضد المحاكم الإسلامية التي انسحبت ميليشياتها من مختلف المدن والبلدات التي كانت قد سيطرت عليها سابقاً.

واشارت الجماعة الى ان ما يرد من أخبار حول وجود قوات أمريكية في السواحل الصومالية، وقيام هذه القوات بقصف جوي لبعض مواقع تجمع ميليشيات المحاكم الإسلامية «يؤكد أن الاحتلال الأثيوبي للصومال، هو بالوكالة عن الولايات المتحدة الأمريكية، التي جربت حظاً بائساً فيه من قبل، حيث لا تزال تواجه مقاومة باسلة ضد احتلالها في العراق وأفغانستان».

وربطت بين التدخل «الإثيوبي الأمريكي» وبين تمكن قوات المحاكم الإسلامية من السيطرة على معظم الأراضي الصومالية، منهية بذلك «أكثر من عقد من الحرب الأهلية والفوضى، وانعدام الأمن»، ومغلقة صفحة «أمراء الحرب الذين ارتبطوا بتحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية وأذاقوا الشعب الصومالي ويلات الصراعات القبلية المسلحة والأجندات الشخصية والخارجية المتناقضة».

وناشدت الجماعة الصوماليين «الالتقاء على رؤية واحدة على قواعد الاستقلال والحرية والعدالة والهوية العربية الإسلامية، لإنقاذ بلدهم وشعبهم من واقع التخلف والتمزق والاقتتال والاحتلال الأجنبي».

كما حثت الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي على «بذل الجهود اللازمة» لإخراج الصومال من واقعه «المأساوي بعيداً عن التدخلات الأجنبية وخصوصاً الأعداء التاريخيين للصومال وللأمة».

اتساع نطاق فضيحة أكياس الدم الملوثة.. ومهاجمة مبارك لعدم تأثره بإعدام صدام واغتيال السادات.. عراقي يكشف الفرق بين الشيعة العرب والفرس

تشبيه ما حدث لعائلة المجيد بما حدث للبرامكة أيام هارون الرشيد.. وشيعي مصري يطالب بمحاكمة من أعدموا صدام

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من حسنين كروم:

كانت «الأخبار» والموضوعات الرئيسية في الصحف المصرية الصادرة أمس، عن استقبال الرئيس مبارك، الرئيس الاريتري اسياس افورقي، واجتماعات لجان مجلس الشورى لبحث التعديلات الدستورية التي طلبها الرئيس مبارك، واتساع نطاق فضيحة توريد أكياس دم فاسدة، وتصريحات لوزير الصحة نفى فيها أن تكون فلاتر الكلى التي توردها شركة هايدلينا، التي يملكها عضو مجلس الشعب والقيادي بالحزب الوطني الدكتور هاني سرور غير مطابقة للمواصفات وأنه يتم تصديرها الى سورية والأردن والجزائر، ويتم استخدامها في المستشفيات البريطانية، ولم يتطرق لأكياس الدم، كما نفت الدكتورة هيام فتح الباب نائب مدير مستشفى أحمد ماهر، ما نشر عن وفاة المريض خضر عبدالهادي بسبب الدم الملوث، وقالت انه كان مصابا بفشل كلوي وكبدي وقيء دموي، ولوحظ استمرار «الوفد» و«المصري اليوم» في حملتهما، واتخاذ الصحف الحكومية موقفا أما متحفظ أو متجاهل للنظام وللحزب الحاكم، ورئاسة السيدة سوزان مبارك، رئيسة حركة سوزان مبارك الدولية للمرأة من اجل السلام الجلسة الافتتاحية للاجتماع الدولي من أجل بيئة آمنة للمدنيين اثناء النزاعات المسلحة، وأزمة في أنابيب البوتاغاز بمحافظة المنيا واكتشاف بؤر جديدة لانفلونزا الطيور في محافظات الاسكندرية والقليوبية ودمياط وارتفع جديد في اسعار حديد التسليح والذرة. وإلى قدر معقول نسمح به اليوم مما تحت أيدينا، وقبل البدء به، أود التنبيه إلى أن زميلتنا الإعلامية الكبيرة فريدة الشوباشي، اشتكت أمس ايضا من عدم ظهور التقرير كاملا على موقع «القدس العربي» على شبكة الانترنت، فأكدت لها أنها مؤامرة ضدي، إلى أن يتم تصحيح الخطأ.

الشيعة والإعدام

ونبدأ بأشقائنا الشيعة وآرائهم، كما جاء في تحقيق زميلنا بـ«صوت الأمة» رضا عوض:

«أما الناشط الشيعي محمد سيف فقد علق على إعدام صدام قائلا: إن طريقة الإعدام وتوقيته كان بشعاً للغاية ولن يقبلها أحد ولعل فرح الشيعة بهذا الحدث يرجع إلى حجم الجرائم التي ارتكبها في حق الشيعة بعد أن اعترضوا على الحرب التي بدأها فقام بإطلاق النار عليهم في قرية الدجيل فقتل منهم 150 شخصا وأباد 1800 شخص آخر، ولهذا فهم فرحون بالثأر، ولكننا نرفض قتله بهذا الأسلوب وفي هذا التوقيت.

وأضاف: إن شيعة العراق هم الذين يؤيدون عملية قتله لأنهم تعرضوا لسجونه وتعذيبه وهم الذين ذاقوا المر على يديه لذلك كان من الطبيعي أن يفرحوا وأن يحضروا عملية إعدامه كنوع من لتشفي فيه، وأشار سيف إلى أن شيعة مصر لم يفقدوا تعاطف الناس لأنهم لم يشمتوا كليا وإن كانوا فرحين لقتله لأنه كان أحد الطغاة الذين أذاقوا الشيعة الذين باركوا إعدام صدام؟، أليس هو الرجل الذي أذاقهم العذاب وأباد منهم الآلاف فكان منه الطبيعي أن يتشفوا فيه؟!».

أما الدكتور أحمد هلال ـ المسؤول الإعلامي عن مركز آل البيت للعلوم الإنسانية في مصر فقد أكد أن الشيعة الذين هللوا لإعدام صدام جهلة ولا يعرفون سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فلا أحد يعرف ما الذي فعله صدام في السنوات الأخيرة، لعل الله عفا عنه بعد هذه الجرائم التي ارتكبها ولعل فى البعض جعل الأمر يتحول إلى تعصب طائفي وهو ما نهى عنه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي نهى عن التعصب فالموقف كان مؤذيا للجميع فصدام في النهاية كان شخصا مكسورا تم التلاعب به بهذه الطريقة والعرب يتفرجون.

وأضاف: إن موقف الشيعة في مصر يختلف عن بقية شيعة العالم وأقول ان من فعلوا ذلك في صدام لابد أن يحاكموا لأنه رجل أسير استهانوا به وسلموه لأعدائه الذين أعدموه بهذه الطريقة.

وأكد محمد الدريني ـ رئيس المجلس الأعلى لآل البيت ـ رفضه لتنفيذ حكم الإعدام في هذا الحاكم بهذه الطريقة حيث أراد الأمريكان تقديم هدية للذين يحتفلون بأعياد الميلاد.

وأضاف: إن إعدام صدام تم بسبب جرائمه الشنيعة والبشعة خاصة بعد أن أعدم الآلاف من الشيعة وحفر المقابر الجماعية التي نفاجأ بها كل يوم حيث قام بإلقاء كل معارضيه فيها وخاصة من الشيعة لمجرد أنهم يخالفونه في المذهب، وأضاف: المتابع لجرائم صدام سيرى أن إعدام هذا الرجل ليس كافيا بعد أن أذاق الشيعة ألوان العذاب.

وأكد الدريني أن الأمريكان أرادوا أن يظهروا الشيعي وكأنه شامت في موت صدام، وهو ما ترسخ بالفعل في أذهان العالم بشكل عام وأذهان المصريين بشكل خاص، خاصة أثناء تنفيذ حكم الإعدام بحضور بعض أتباع الصدر ولكننا نؤكد أن تصوير تنفيذ حكم الإعدام كان الهدف منه التأكيد للعالم كله بأن صدام قد مات بالفعل حتى لا يظن البعض أنها تمثيلية.

وأشار الدريني إلى أن الشيعة في مصر يحاولون تجنب التداعيات المختلفة لسيل التصريحات التي تخرج من شيعة العالم حول إعدام صدام حتى لا نفقد تعاطف الناس معنا في مصر، خاصة بعد أن شعر الناس بمدى الاضطهاد الذي يعاني منه الشيعة في مصر».

ونترك شيعة مصر إلى شيعة العراق، وجزء مما جاء في رسالة لواء الجيش السابق والشيعي، أبو محمد إلى زميلنا عبدالله كمال رئيس تحرير مجلة «روزاليوسف»، قال:

« 1ـ إن في العراق خمس طوائف من الشيعة وهم: أولا: الشيعة العرب: وهم الأقوام العربية التي نزحت بالهجرات العربية المتعاقبة من شبه الجزيرة العربية واستوطنت في العراق وانقسموا إلى قسمين حسب المواقع الجغرافية فمنهم من اعتنق المذهب الشيعي وهم الأغلبية من سكان المناطق الوسطى والجنوبية والجنوبية الشرقية ومنهم من اعتنق المذهب السني وهم سكان المناطق الغربية والشمالية والشمالية الغربية، لذا فإنك تجد أن قبيلة شمر وعنزة وهي من كبرى القبائل العربية فيها سنة وشيعة وكذلك قبائل الدليم وربيعة وطي والجبور والبوعامر وعزة وغيرها كثير من القبائل العربية القاطنة في العراق، وهكذا فهم أولاد عمومة متعايشون ومتصاهرون ونخوتهم واحدة ويتعاملون فيما بينهم بكل حب وإخلاص دون النظر إلى المذهب لأن رابطة الدم أقوى من رابطة الدين والمذهب، وهكذا تجد في العائلة الواحدة والعشيرة الواحدة هناك شيعي وسني، وأحيانا في البيت الواحد، إضافة الى ان الشيعة العرب متعصبون إلى قوميتهم العربية لا يتصاهرون مع الشيعة من الأصول الفارسية فهم لا يزوجون بناتهم وأبناءهم من أبناء وبنات هذه الطائفة على الرغم من أنهم يدينون بالمذهب نفسه، فالمحافظة هنا على نقاوة الدم العربي تلعب دورا كبيرا في عاداتهم وتقاليدهم وهم يعتزون بعروبتهم وبوطنيتهم ويغضبون كثيرا عندما يتهمهم البعض بالولاء لإيران على الرغم من التهميش والاضطهاد الذي كانوا يلاقونه ويعانون منه في العهود السابقة منذ العهد العثماني وحتى الآن، انهم هم الذين دافعوا عن العراق الفاو والشعيبة تشهد بذلك وهم الذين حرموا التعامل مع المحتل والتعاون معه لتشكيل الحكومة الأولى التي تصبها المحتل وأصبح أول رئيس وزراء لها النقيب الكيلاني من أشراف السنة، ومن نسل الشيخ عبدالقادر الكيلاني الذي مقامه شامخ في وسط بغداد وهكذا فقدوا الحكم على الرغم من كونهم الأغلبية، وهم قادة ثورة العشرين ضد المحتل البريطاني حيث انطلقت شرارتها الأولى من الرميثة إحدأقضية محافظة النجف الأشرف وكان قادة الثورة من رجال الدين الشيعة وشيوخ العشائر العربية الشيعية، وهم الذين تصدوا للمحتل الفارسي طيلة ثماني سنوات ضحوا بخيرة أبنائهم من أجل وطنهم وعروبتهم دون أن يخطر على بالهم أنهم يقاتلون أبناء مذهبهم لأن الوطن عندهم أغلى من المذهب والدين، وهم الذين تصدوا للمحتل الجديد في الفاو والبصرة والناصرية وميسان والديوانية والنجف وكربلاء ولم يدخلها المحتل إلا على جثث شهدائهم في هذه المناطق على الرغم من موقفهم من النظام السابق بعكس المحافظات الأخرى التي دخلها المحتل دون مقاومة تذكر، وبالاتفاق مع رؤساء عشائرهم، وهم الآن يقفون في وجه المخططات الأمريكية الفارسية لتجزئة العراق وتفكيك أوصاله بحجة الفيدرالية هؤلاء هم الشيعة العرب العراقيون فلماذا تخشونهم وتتهمونهم بالتبعية لإيران؟».

وغدا سيحدثنا اللواء أبو محمد عن الشيعة الفرس في العراق.

معارك الإعدام

وإلى معارك الإعدام، وأولها ستكون من نصيب زميلنا ب«الأهرام» نبيل عمر، الذي قال يوم الثلاثاء:

«بالطبع نكره الاحتلال الأمريكي للعراق، ونحمله جميع مصائب ما يحدث في هذا البلد الجميل، لكن كرهنا للاحتلال لا يصلح أن يكون أداة نحول بها حاكما مستبدا أذل شعبه، وبدد ثروته، وسجن عشرات الآلاف، وقتل مثلهم، وصنع نوعا من الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي في بلاده بالحديد والنار، الى فارس نبيل، لأننا دون قصد أو بقصد ـ الله أعلم ـ نرفع الحرج والمسؤولية عن أكتاف جميع الحكام الطغاة، ونصطف خلفهم ونصفق لهم ونهلل ونهتف: «بالروح، بالدم نحميك ياطاغية» علينا أن نفرق بين الاحتلال والطغيان ولا نجعل أحدهما يبرر الآخر أو يتحجج به».

وإلى «الفجر» ـ الأسبوعية المستقلة ـ ومقال زميلنا ب«الأهرام» ياسر الزيات الذي حكى عن زيارته لبغداد في نهاية عام 2000 وقال عنها:

«أعذر المتعاطفين مع الرئيس العراقي الراحل صدام حسين، كما أعذر المتشفين فيه، لأن للطرفين حجة وموقفا ولأن لدى كليهما مبررات للتعاطف أو للتشفي، بل ربما يكون هناك فريق ثالث يجمع بين الإحساسين المتناقضين في آن، واعتبر نفسي من أهل هذا الفريق.

زرت العراق مرة واحدة في نهاية عام 2000، واستمرت الزيارة أسبوعا قضيته في بغداد، ورأيته كافيا ـ من وجهة نظري ـ لاعتبار صدام حسين مجرما يستحق المحاكمة على الجرائم التي ارتكبها في حق شعبه في ذلك الأسبوع من شهر نوفمبر، كانت رائحة الموت تطاردني في كل مكان من بغداد: في الفندق الشهير الذي نزلت فيه وفي بيت صديقي الشاعر العراقي الفقير في احدى حارات حي الأعظمية، في القاعات الفخمة التي كان نظام صدام يحرص على ألا نرى سواها وفي اتحاد الكتاب العراقيين الذي كان قد تحول إلى ما يشبه خرابة يلتقي فيها مثقفون يحملون خرابا أكبر في أرواحهم، في مياه نهر دجلة الصامتة موتا أو احتجاجا، وفي ملجأ العامرية الذي تحول إلى متحف للموت، بكيت في العراق كما لم أبك في أي مكان كنت، ومازلت أعتقد أن العراق هو بلد العز والعزة، بلد القوة والكرامة والكبرياء، لكن العراق المهزوم هزمني بسيدة عجوز مدت لي يدها مستجدية في شارع المتنبي، فبكيت إذ تذكرت أن هذه السيد نفسها، التي تشبه أمي، ربما كان يعمل على خدمتها شباب مصريون في سني، أو أكبر قليلا، عندما كان العراق باب رزق مفتوحا دائما أمام كل مصري يضيق به الرزق في وطنه، بكيت ولعنت صدام حسين والأمريكيين والعرب المتخاذلين.

لم يخدم أحد أمريكا كما خدمها صدام حسين وآن له أن يحصل على مكافأة نهاية الخدمة بأن يحصل على وسام «شهيد» وأن يعلقه على جثة العراق، ويدخل متحف الموت».

وهكذا، بكى ياسر على العراق وشعبه، وأبكاني معه، وكاد أن ينسيني صاحبنا الدكتور علي أبو الخير الذي يضايقني من وقت لآخر بمهاجمة خالد الذكر، إذ أعطى صورة تاريخية عما حدث لصدام وآل المجيد، وشبهها بما حدث للبرامكة على يد هارون الرشيد، بقوله في «الأحرار» يوم الثلاثاء:

«ولا أدري كيف مرت في خيالي ذكرى البرامكة الذين عاشوا في زمن هارون الرشيد لأن قصتهم تتشابه كثيرا مع صدام وأسرته وتتكرر القصة من جديد وفي نفس العاصمة بغداد لأن أسرة المجيد عاشت نفس ظروف البرامكة ولكن قصتهم لها وجوه متعددة نريد أن نذكها حتى لا تختلط علينا الأمور صدام حسين لم يكن طائفيا بالمعنى المعروف للطائفية فلم يكن يقتل إلا من يتهمه بعدم الولاء له لم يكن يفرق بين شيعة وسنة وأكراد وتركمان وآشوريين وغيرهم من طوائف الشعب العراقي صحيح انه قتل من الشيعة والأكراد أكثر من غيرهم ولكنه لم يكن يقتل على الهوية المذهبية أو العراقية، وهو ما حدث مع أسرة الصدر عام 1980 عندما قتل محمد باقر الصدر وأخته بنت الهدى وواحدا وتسعين من أسرة الصدر لأنهم أعلنوا العصيان على حكمه لم يقتلهم بسبب الدين أو المذهب ولكنه قتلهم بسبب عدم الولاء كما قلنا تماما عندما قتل الأكراد في حلبجة ومنطقة حاج عمران القتل بسبب الاتهام بعدم الولاء وعدم الثقة مع العلم أن كثيرا من الوزراء البعثيين كانوا من الشيعة مثل محمد سعيد الصحاف وسعدون حمادي وسعدون شاكر وكثير من المخابرات كانوا من الشيعة والأكراد والتركمان بالإضافة طبعا للسنة، أن صدام لم يكن طائفيا كما يحلو للبعث أن يردد ولكنه كان طاغية يريد أن يتقدم العراق على طريقته ولكنه ككل المستبدين تقدم بالبلد علميا في عهده ولكنه في سبيل ذلك قتل الآلاف ودمر البيوت وأهلك الحرث والنسل، مأساة صدام ونحن معه أنه أعدم يوم العيد ومأساته أيضا ونحن معه أنه أعدم قبل البوح بأسرار حروبه المتعددة والتي كانت حروبا بالوكالة عن الدولة الأمريكية وهنا لابد من القول انه كان يستحق الإعدام ليس علي قضية الدجيل وحدها ولكن على كل المآسي التي فعلها مع الشعب العراقي والشعوب المجاورة له ولكن يبقى التوقيت الذي نفذ فيه الحكم يلقي بظلاله على الانتقام المروع من قبل الذين رافقوه للتشفي منه ولم يراعوا حرمة الموت ولا رهبة وداع الدنيا حتى أنهم شوهوا أنفسهم قبل أن يشوهوا من الموت وسكراته كما لا يتحمل كل الأكراد ذنب القاضي الكردي الذي حكم عليه بالإعدام تماما كما لا يتحمل السنة ما اقترفه صدام ونظامه وهذا ما نعتقد أنه الأصل في الحكم على الأشياء والأحياء معا».

الأدباء والإعدام

ولا أعرف لماذا استهواني التشبيه الذي ابتكره أبو الخير لحكاية البرامكة وآل المجيد، وهو ما دفعني للبحث عن الذين يجيدون مثل هذه التشبيهات وهم أهل الأدب، لنسعى إليهم، ومنهم زميلتنا بـ«الأخبار» الناقدة عبلة الرويني التي كتبت مقالا في نفس اليوم عنوانه ـ صدام لا يأكل التبن ـ قالت فيه:

«فجر السبت 30 ديسمبر 2006 شرب الماء الساخن المخلوط بالعسل ـ شرابه المفضل ـ وتناول وجبة شهية من الدجاج المسلوق وطلب ان يستريح قليلا، ثم قام مرتديا قميصه الأبيض الناصع ومعطفه الأسود الكشميري، صفف شعره المصبوغ بالأسود وشاربه ولحيته الفضية، وأمسك كتاب الله ومضى هادئا بقدمين ثابتتين إلى نهايته.

لم يفقد صدام حسين السيطرة، لم تنهر قواه، لم تشوش روحه، لم يزعق من الخوف، ولم يهز من الفزع ظل محتفظا بصلابته محافظا على صورته المتماسكة بطريقة أعادت صياغة المشهد بصورة مختلفة، بالتأكيد لصالحه، هذا ما أكدته ردود فعل الخصوم قبل الأنصار وأكدته سرادقات العزاء الممتدة بحجم الوطن العربي، هذه البراعة في صياغة مشهد النهاية أو مشهد البداية لمقاومة أعنف وأشرس للمحتلين هذا التخطيط المتقن بكل حضوره اللافت ورسالته المحملة بالمبادىء والشرف، هو ما أثار اعجاب الكثيرين واحترامهم وهو ايضا ما ضاعف الغضب على العقوبة ومرتكبيها من الأمريكيين أو من حكومة الاحتلال العراقية، لم تستطع عشرات الليالي من الإهانة والإساءة لم تستطع ثلاث سنوات وراء القضبان في ظل الاحتلال أن تنتزع من صدام حسين انسانيته أو تشوهها.

في حكاية «النمور في اليوم العاشر» للروائي السوري زكريا تامر رفض النمر أن يأكل التبن الذي قدم إليه في اليوم الأول وفي اليوم الثاني رفض ايضا أن يأكل التبن لكن بعد مرور عشرة أيام من التعذيب والتجويع والإذلال وخلع الأنياب وقص المخالب، في اليوم العاشر تقدم النمر ليأكل من التبن بعد أن تهاوى وانهارت قواه وفقد هويته ولم يبق منه شيء من النمر،! لم يأكل صدام حسين التبن، ظل حريصا على صورته المتنمرة القوية، لم يسمح بكسر إرادته وتحويله إلى «سجين» أو «أسير» و«جثمان»، قلب الصورة رأسا على عقب، رفض وضع العصابة السوداء على وجهه وهتف باسم بلاده ليعز باستشهاده نفسا مؤمنة، في حين غطى جلادوه وجوههم وارتدوا الأقنعة السوداء ليخفوا خوفهم وتوترهم وليخفوا أكثر بشاعتهم الانسانية، مارسوا الاستفزاز والإهانة والرقص حول الجثمان، أرادوا درسا وعبرة لملايين من المشاهدين ليحافظوا على ذعرهم وصمتهم من رؤية رأس الذئب الطائر، انتظروا أن يصل الرئيس السجين الى أقصى درجات الضعف والألم ومن ثم إلى أقصى درجات التذلل والهوان وإلى حالة مزرية خالية من الكبرياء والقيمة والاحترام، لكن الذئب المدرب خدعهم جميعا واختار الموت بلا توجع وبلا ذل وبلا هوان، اختار بمهارة حق صياغة صورته وصياغة المشهد بأكمله».

أما زميلنا وصديقنا والأديب الكبير جمال الغيطاني رئيس تحرير جريدة «أخبار الأدب» فقال في نفس العدد من «الأخبار» في يومياته:

«لم أر في حياتي إنسانا يشنق، أذكر صورا فوتوغرافية لبعض المحكوم عليهم بالتنفيذ، قبل وليس بعد، هكذا التقاليد في مصر يعد رفض الشماتة في الموت من أهم سمات ثقافتها العميقة رؤية إنسان يخطو نحو الموت يعرف انه بعد دقائق بعد لحظات سوف يفارق الحياة الدنيا أمر مفزع ومؤلم أدقق النظر في ملامح الرئيس العراقي من خلال الصور المبثوثة، هذا إنسان مجرد من كل ما كان فيه، أعزل، موثوق الأيدي من خلف ترى أي صور جالت في ذهنه؟ أي حال؟ الجملة التي توقفت عندها وأثارت ألما «هادي المرجلة»؟ يبدو أن أحدهم أهانه قبل صعوده إلى منصبة الإعدام، أعتى الرجال ينهارون في مثل هذه اللحظات، لذلك بدا ثباته مثيرا للاحترام، أثناء نطقه الشهادة كان صوته قويا، واضحا لا أثر لاهتزاز فيه، الجلاد الشامت الذي أخفى وجهه مع زملائه خوفا لم ينتظر حتى يكمل الشهادة في المرة الثانية، شد الحبل عند اسم الرسول الكريم لم يدعه يكمل، بينما الهتافات الطائفية تتردد شامتة.

رمزية المشهد واضحة، صباح العيد في وقت النحر، ينحر إنسان عربي مسلم مثل الخروف وهذا الإنسان كان رئيسا لدولة عربية قوية وكبيرة، الرسالة تقول ان أي إنسان عربي مسلم مهما بلغت مرتبته يتساوى مع الخروف.

لا أصدق كل التصريحات التي صدرت بعد الإعدام العلني، سواء من سلطات الاحتلال الأمريكي التي لها الكلمة العليا في العراق ولا الحكومة العراقية التي تعيش في ظل الاحتلال، انها محاولات لغسيل السمعة، بعد تمرير الرسالة، هل تم التصوير خلسة؟

هل دخل بعض الشامتين إلى المكان خلسة بهواتف المحمول؟

القول بأنه استهانة بالعقول، التصوير مقصود والإهانة مقصودة، والقول بأن الرقص حول الجثث عادة عراقية فيه إهانة للشعب العراقي قديم الحضارة، وكأنه مجموعة من الهمج المتوحشين، أكاد أوقن أن الجلادين الذين أخفوا وجوههم من الأمريكيين المحتلين، كل لقطة كان فيها تعمد إهانة، حتى لقطة التابوت الخشبي قبل لفه بالعلم العراقي من قبل عشيرته وهو ينقل في عربة نص نقل الى هليكوبتر أمريكية! مهما تعددت محاولات غسيل السمعة فالمسؤولية الرئيسية تقع على قوات الاحتلال الأمريكية، ولذلك لا يحق للقيادة الأمريكية ولا الساسة الأمريكيين أن يتحدثوا عن حقوق إنسان، ولا أن يصدروا تقريرا في كل عام ينصبون فيه أنفسهم قضاة على من يطبق أو لا يطبق حقوق الإنسان كذلك لا يحق للإدارة الأمريكية أن تتحدث عن تطبيق الديمقراطية في الشرق الأوسط ولا عن تزييف الانتخابات هنا أو هناك وهي فاقدة المصداقية، فهذه المحاكمة الصورية، الهزلية والتي تبدل فيها القضاة ليست إلا مسرحية مزيفة مزورة.

لقد فقدت الإدارة والسياسة الأمريكية كل مصداقية لها، ليس من خلال هذا المشهد غير الإنساني الذي قصد به